

فلسفة القيادة والحكم عند آخر ملوك سومر لوكال زاكيزي في بلاد الرافدين

نور خضير بدر
كلية التربية للعلوم الانسانية (ابن رشد) – جامعة بغداد
العراق

الخلاصة

لوكال زاكيزي (2400-2370 ق.م) ملك دولة (أوما) وآخر ملوك السومريين قبل أن يظهر الأكديين على الساحة السياسية في بلاد ما بين النهرين، حيث جعل لوكال زاكيزي الوركاء عاصمة لمملكته، واستطاع بدهائه ان يسيطر على أغلب مدن الجنوب ويضمها إلى حاضرتة الجديدة، وبذلك أقام أول دولة موحدة في بلاد سومر، وبقيت البلاد خاضعة لنفوذه السياسي إلى أن ظهر الملك القوي سرجون الأكدي (2371-2316 ق.م) الذي أستطاع القضاء على الحكم السومري وأسس الدولة الأكديّة (2371-2230 ق.م). تميز لوكال زاكيزي بمقدرته العسكرية الفائقة وقد وضع حدًا لنزاع طويل أمتد أكثر من مائة عام بين لجش و أوما حتى تم دحر لجش نهائيًا وإحراق المدينة كليًا تقريباً، وقد ساعدت الأوضاع الداخلية لمدينة لجش لوكال زاكيزي على القيام بعمله هذا. هذا البحث يوجز ملامح الدولة الموحدة التي اسسها لوكال زاكيزي في بلاد سومر ومجمل الاصلاحات السياسية والاقتصادية التي قام بها اثناء فترة حكمه التي امتدت الى 25 سنة.

المقدمة

ينتهي عصر فجر التاريخ مع بدأ السلالات الحاكمة فيما يسمى بـ(عصر فجر السلالات) أو (عصر دويلات المدن السومرية) أو (العصر السومري)، ويشغل هذا العصر المدة 2800-2370 ق.م، إذ ظهرت أولى السلالات السومرية التي شكلت أنظمة سياسية في كل مدينة من مدن سومر، وتوسعت المدن إلى مدن كبرى، وبرزت فيها سلالات حكمت هذه المدن، وأصبحت كل مدينة وحدة سياسية مستقلة بذاتها، وحكم هذه المدن في أوارها الأولى كاهن المعبد (ابن) الذي جمع ما بين السلطتين الدينية والدنيوية، ثم وبعد اتساع المجتمع وتطوره وتطور نظام الحرب انفصلت السلطتين، فأصبح حاكم دولة المدينة يلقب بلقب (انسي) أي (حاكم)، وكانت الكثير من هذه الدويلات متعاصرة، ويغلب عليها التنافس والنزاع من أجل التوسع أو السيطرة على المياه أو السيطرة على التجارة والطرق التجارية، وتنتشأ أحياناً نتيجة توسع دويلة على دويلة أخرى مملكة أكبر يلعب حاكمها بـ(لوكال) أي (الملك) أو (الرجل العظيم)، وكان (لوكال زاكيزي) أول ملوك سومر حيث ازدهرت الحضارة في بلاد النهرين ونضجت خلال هذا العصر، وسادت فيه الثقافة السومرية واللغة السومرية، وكانت أغلب السلالات التي ظهرت في بلاد النهرين خلال هذه الحقبة هي سلالات سومرية (1).

كان (لوكال زاكيزي) (2400-2370 ق.م) ملك دولة (أوما) آخر ملوك السومريين قبل أن يظهر الأكديين على الساحة السياسية في بلاد النهرين، وجعل (لوكال زاكيزي) الوركاء عاصمة لمملكته، واستطاع بهداته ان يسيطر على أغلب مدن الجنوب ويضمها إلى حضارته الجديدة، وبذلك أقام أول دولة موحدة في بلاد سومر، وبقيت البلاد خاضعة لنفوذه السياسي إلى أن ظهر الملك القوي سرجون الأكدي (2371-2316 ق.م) الذي أستطاع القضاء على الحكم السومري وأسس الدولة الأكديّة (2371-2230 ق.م) (1). نشأ لوكال زاكيزي من عائلة تنتمي إلى طبقة الكهنة حيث كان أبوه كاهن الآلهة (نصابا) وهي آلهة الحبوب في مدينة أوما. كما ويعتبر زاكيزي ذو اصل سامي أكدي حيث إن اسمه (بوبو) (2) وعمل معه أبنه في منصب الكهنوتية وبعد قضاء لوكال زاكيزي على مدينة لجش استولى على أور والوركاء واتخذ لقب ملك أوروك وذكرته الكثير من الإثباتات بأنه مؤسس سلالة الوركاء الثالثة واتخذ لقباً جديداً استحدثه هو لنفسه وهو ملك الأقاليم أي ملك البلاد (1).

دور زاكيزي في توحيد بلاد سومر

اتبع لوكال زاكيزي سياسة الفتح العسكري وكان من نتائجها ان أصبحت جميع بلاد سومر تحت سيطرته وجعل مدينة الوركاء عاصمة له بعد أن أنهى حكم دويلة لجش اثر هجوم مفاجئ قام به لينهي بذلك صراع استغرق زهاء القرن بين دويلته اوما وبين دويلة لجش وقد دمر المدينة وأعمل فيها وفي أهلها النار والسيف مما ترك صدى في نفوس الكتاب والأدباء فخلف لنا أحدهم رثاءً مؤثراً يندب فيه ماحل بلجش ومعابدها وأهلها ويطلب استئزال العقاب الإلهي عل لوكال زاكيزي وأعقب قضاءه على دويلة لجش ضمه دويلة مدينة أور واستيلاءه على دويلة مدينة الوركاء الشهيرة واتخذ لقب ملك أوروك (وذكرته جداول الملوك السومرية بأنه مؤسس سلالتها الثالثة كما اسلفنا (3).

الحرب الخاطفة الطاحنة التي شنها لوكال زاكيزي على اوركا- جينا اخر حكام لجش والنهاية المفجعة التي انتهت اليها حيث تم حرق وتدمير لجش وتشريد سكانها ليلاً وهدم معابدها وقصورها وضياع معالمها وذلك في حدود عام 2355 ق.م. (4).

ومن الممكن تفسير نجاح لوكال زاكيزي يعود إلى أن سكان جنوب بلاد النهرين قد ضجرت من النزاعات الداخلية وكانت توافقة للتنظيم والتجمع ضمن دولة واحدة موحدة حيث ساعد هذا لوكال زاكيزي الى أن يتوصل إلى مسألة الوحدة. فعلى الرغم من ضعف دولة لوكال زاكيزي ، إلا أنها استطاعت أن تجند أعداداً كبيرة من الجيش وكانت غالبية من لجش نفسها حيث أن الناس في لجش كانوا تواقين الى السلم والوحدة بعد ان مزقتهم النزاعات الداخلية (5).

وهكذا اسس لوكال زاكيزي دولته الموحدة المنشودة من كل من أوروك - أور - الاين - شاكوشان ، لوكال كنيشيدودو ، لوكال كيسالي، والتي حكمها ما يقرب من 25 سنة بدءاً من سنة 2336 ق.م ولكن ما متوفر حتى الان من اثباتات هل تشمل فترة حكمه في أوروك فقط أو تشمل سنوات حكمه في أوما فقط. كما لا يمكن الجزم في ظل كل هذه الظروف والمعطيات، كيف حصل لوكال زاكيزي على السلطة في أوروك ، هل كان نتيجة قرابته من سلالة أور الثانية أو كان نتيجة احتلاله لها (5).

الإصلاحات السياسية والاقتصادية في عهد زاكيزي

نجح لوكال زاكيزي في فتح مدينة أوروك وجعلها عاصمةً لملكه حوالي عام 2355 ق.م مؤسساً بها سلالتها الثالثة، كما تمكن من توحيد الكثير من دويلات المدن الجنوبية لبلاد ما بين النهرين وأخرها كانت مدينة لجش والتي كانت تحت حكم آخر ملوكها اورو - كاجينا. كانت لجش من أشهر المدن في عصر فجر السلالات وتقع بالقرب من شط الحي (الغراف)، وعلى بعد حوالي عشرة أميال الى الشمال الشرقي من بلدة الشطرة (6).

قام لوكال زاكيزي بإصدار مجموعة من الإصلاحات الاجتماعية في ظل سياسية حكمه وفلسفته في ادارة الدولة والتي حاول من خلال تلك الاصطلاحات من تصحيح الاوضاع المتردية التي طرأت على مجتمعه من جراء استيلاء كهنة الاله نكرسو على الحكم لمدة عقدين من الزمن على وجه التقريب بعد الاطاحة بهم مع كبار رجال الدولة والأغنياء الذين تضخمت ثرواتهم الشخصية على حساب عوائد الآلهة ومواطني مجتمعه كما انه ارسى دعائم الحرية والمساواة بين ابناء شعبه (7).

وجاء في مقدمة اصلاحاته انه حرر مواطني دولته من الربا والاحتكار والجوع والسرقة والاعتداءات وارسى دعائم الحرية (7).

كما انه اصدر عدة قوانين تخص المعاملات التجارية منها أحكام خاصة بالتسعيرة الجبرية واحكام خاصة بالبيع والشراء واحكام خاصة بالقروض والائتمان والديون وعدة تشريعات واحكام تختص بالشراكة والمساهمات التجارية(7).

نهاية لوكال زاكيزي

عندما بدأ سرجون الاكدي الحكم، كان لوكال زاكيزي في السنة العشرين من حكمه، أي يعني في 2316 ق.م. وخلال 3-4 سنوات بسط سيطرته على الفرات بأكمله، وفتحت لسرجون الطريق إلى البحر الأبيض المتوسط ومن ثم شيد عاصمة جديدة له ، وبعد ذلك بدأ حربه ضد لوكال زاكيزي ، وتبعاً لما تقوله الأثباتات أن سبب الحرب كان رفض لوكال زاكيزي مصاهرة سرجون (5).

قام سرجون الاكدي بحرب اكتسح بها زاكيزي ودولته في سومر حتى قضى على حكام السلالة الثالثة في وأخضع كل دويلات بلاد ما بين النهرين للحكم الاكدي بشكل مطلق واستمرت هذه السيطرة لمدة قرنين وتحديداً للحقبة من 2334 الى 2154 ق.م، اي قرابة 180 عاما (4).

وقد وقع لوكال زاكيزي في الأسرونقل إلى " باب إنليل " تكريماً لسيطرة آلهة نيبور ، ويضيف أحد النقوش أن سرجون سلم لوكال زاكيزي لمحكمة إنليل ، وبدون شك أصدرت المحكمة حكماً بالموت على لوكال زاكيزي (5).

المصادر

- (1) قيس حاتم هاني الجنابي، الحضارة السومرية، جامعة بابل، بحث خاص، 2012.
- (2) سينن لويد، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة الدكتور محمد درويش، دار المامون للترجمة والنشر، بغداد، 2011، ص ص 17.
- (3) لمياء محمد علي كاظم، الوركاء مدينة الحضارة الخالدة، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد 18، العدد 1، 2010.
- (4) علي الحيدري، موسوعة الجراف تاريخاً وحضارة، ص ص 3.
- (5) دياكونوف ي. م. ، أفاناسيفا ف. ك، ماسون ف. م ، ياكوبسون ف. أ، كوشنارييفا ك. خ، تاريخ الشرق القديم: نشوء المجتمعات الطبقيّة القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية، ترجمة الدكتور محمد العلامي، مراجعة الدكتور خلقي خنفر، الطبعة الاولى، 2003.
- (6) رو جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، الطبعة الثانية ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- (7) عبدالعزيز امين عبدالعزيز، قوانين المعاملات التجارية في حضارة بلاد النهرين، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، العدد 8، 1985.